المؤتمر العلمي الدولي المتخصص في اللغة والأدب في دورته الثالثة
الموسوم بـــ(اللغة العربية حية بانتمائها نامية بجهود أبنائها)
كلية التربية أبوعيسى – فسم اللغة العربية – جامعة الزاوية – 2023م

التنوع الدّلالي في تحديد نظرية السياق

فاطمة عمر الطاهر
كلية الآداب – الاصابعة
جامعة غريان

ملخص البحث

تعرض نظرية السياق مجالاً واسعاً في الدرس اللغوي المعاصر، وارتبط السياق بجهود كثير من علماء المسلمين (اللغويين – بلاغيين – والأصوليين والمفسرين) حتى صارت نظرية متكاملة لدراسة الكلمة، تتجلى ذلك عبر مسارات كثيرة لعل أهمها دراسة الكلمة عن طريق المجاورة في السياق، فالدلالة الصحيحة للمعنى هي التي تكتسب من السياق، فالسياق يجمع المعاني المراد فهمها، ويوصلها إلى ذهن القارئ، فالدلالة تتعدد بتعدد السياقات؛ نظراً للتنوع الفعّال الذي يحمله السياق في حيازة المعنى وتوجيه الدلالة، فالكلمة تحمل معاني كثيرة وهذا لأن لها استعمالات سياقية عديدة.

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد النبيّ المرسل للناس أجمعين.

أمّا بعد:

فتعدّ نظرية السياق أحد ركائز الأساسية لعلم الدلالة ، فالسياق هو الذى يحدد معنى الكلمة المناسب، ويعتمد إلى إبعاد كل ما خلا من معاني ذهنية مرتبطة بهذه الكلمة من دون السياق، فالكلمة تكتسب دلالتها من خلال موقعها في السياق، فمكونات السياق وارتباط عناصر بعضها ببعض، تزيد في دقة معنى الكلمة.

وما زال السياق يشغل حيزا واسعا في البحث اللغوي المعاصر، ويستحوذ دوره في تحديد الدلالة، ويستأثر باهتمامهم حتى تعدّ نظرية متكاملة ترتبط بجهود علماء كثيرين.

وسبب اختيار الموضوع: التنوع الدلالي لنظرية السياق عند العلماء لدراسة الكلمة التي هي نواة الدلالة .

الهدف من البحث: دراسة دلالة الكلمة وفقا لتنوع السياقات الدلالية.

المنهج المتبع في هذا البحث: المنهج الوصفي والتحليلي ،ويتضمن مقدّمة وتمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم السياق وأهميته.

المبحث الثاني: أنواع السياق اللغوي وغير اللغوي.

المبحث الثالث: نظرية السياق وموقف العلماء المسلمين منها.

هوامش البحث.

خاتمة: تحتوي على أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث.

قائمة المصادر والمراجع

التمهيد:

إنّ العرب القدامى هم الأسبق لدراسة السياق فهم أوّل من تنبه إليه كفكرة لا كمصطلح، فكانوا مدركين لأهميته ودوره فقط، أمّا المحدثون فأصبح للسياق نظرية قائمة بنفسها التي تعدّ من أهم النظريات المعنى، فالسياق ليس وليد الدراسات الغربية، بل إن جذوره تمتد إلى أعماق الدراسات العربية قديماً، فالغرب صاغوا هذه الفكرة في شكل نظرية قابلة للتطبيق على جميع أنواع المعنى وتحديدها في علم الدلالة.

وظهرت أهمية السياق في تحديد الدلالة من خلال جهود المفسرين والبلاغيين والأصوليين وعلماء اللغة واعتبروا السياق الوسيلة الوحيدة للكشف عن المعنى، ولذلك يعدّ السياق من العناصر الأساسية التي يرتكز عليها في تحليل الخطاب اللغوي، وتكتسب الكلمة دلالتها من خلال موقعها في السياق، وإرتباط عناصرها بعضها بعض تزيد في دقه معنى الكلمة.

ويطلق لفظ سياق على الطريق التي ساق فيها اللغة، والدور الذي تؤديه، فيساعد على كشف معنى الكلمة؛ نتيجة للمعرفة السابقة التي يفترض أنها مشتركة بين المتكلم والسامع، والذي يتمكن عن طريقها من تأويل من يقصده المتكلم من كلامه، والوضع اللغوي له هذا يؤدي إلى تعدد السياقات كاللغوي وغير اللغوي، ومازال السياق يشغل حيزا واسعا في البحث اللغوي المعاصر.

المبحث الأوّل: مفهوم السياق وأهميته

أولًا– السياق لغة:

(سوق) السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حذو الشيء، يقال: ساقه يسوقه سوق، والسيتقة ما استيق من الدواب، ويقال: سقت إلى صداقها، واسقته والسوق مشتقة من هذا لما يساق إليها من كل شيء، إنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق عليها، ويقال: امرأة سوقاء، ورجل أسوق إذا كان عظيم الساق.[11]

ويتبين من خلال المعنى اللغوي لمادة السياق، أنها تدور حول معاني التسلسل والإيراد ومجيء الشيء متتابعًا، وكله في معنى الانتظام والترابط والسياق.

ثانيًا– السياق أصطلاحًا:

هو دراسة الكلمة داخل التركيب أو التشكيل الذي ترد فيه، إذ لا يظهر معنى الكلمة الحقيقي، أو لا تتعدد إلا من خلال السياق بضروبه المختلفة.[12]

فمثلًا كلمة "يد" وهي في الحقيقة معروفة، وقد تنتقل إلى المجاز الذي يولد فيه السياقات المختلفة تقول:

–"أعطيته مالًا عن ظهر يد": يعني تفضلًا ليس من بيع ولا قرض ولا مكافأة.

–"وهم يد على سواهم": إذا كان أمرهم واحدًا.

–"يد الدهر": مد زمانه.

–"يد الريح": سلطانها.

–"يد الطائر": جناحه .

–"ثوب قصير اليد": إذا كان يقصر أن يلتحف به.

–"يد الرجل": جماعة قومه وأنصاره. [13]

لا نستطيع أن نقول إن كلمة "يد" لها معان مختلفة عندما ترد منفردة؛ لأنه لا يمكن فهم أية كلمة على نحو تام معزل عن الكلمات الأخرى ذات الصلة بها والتي تحدد معناها. [14]

فالسياق هو الذي يحدد قيمة الكلمة في كل حالة من الحالات، إذ إنّ الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديد مؤقت، والسياق هو الذي يفوض قيمة واحدة بعينها على كل الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها.

ثالثا– أهمية السياق:

إنّ للسياق أهمية كبيرة في تحديد الدلالة فهو يصرف الغموض عنها، ويوجهها ويضبطها، ولذلك أشار العلماء منذ القديم إلى الأهمية التي يحملها السياق بتحديده للدّلالة المقصودة للكلمة في

جملتها، وإنّ التحديد الدقيق لدلالة اللفظ انما يرجع إلى السياق، فهو الذي يصرف الالتباس والغموض والإبهام عنها، ويضبط ويوجّه دلالتها، ويتضح هذا من:

1- هو الركن الرئيس في فهم الرسالة اللغوية، فهو يعطي الكلمة أو العبارة معناها الخاص، ويزيل اللبس عن الكلمة.[15]

2- نظرا لأهمية السياق في دراسة القول الطبيعي وتحليله نجدهم قد أدركوا جيّدا ما له من دور في توجيه المعنى، فلا نكاد نجد مفسرًا ولا لغويا ولا أصوليا إلا ويعتبر السياق في كل إجراءاته وتطبيقاته.[16]

3- السياق من العناصر الرئيسية التي يرتكز عليها في تحليل الخطاب اللغوي. [17]

4- السياق له دور كبير في مقصود دلالة المتكلم، وتحديد هوية العبارة.[18]

5- السياق يحدد دلالة اللفظ ويبين قيمته في التعبير، حيث لا يمكن الاستغناء عنه بغيره.[19]

6- الموجودات لا تستقيم في العقل بلا تحيز في السياق الذي يحتضنها ويضمها ويعطيها معنى، والمعنى هو شكلها الحي الذي يتكيّف كل مرة مع السياق. [10]

7- في علم الدلالة يبدو السياق علمًا متشابكا شديد الأهمية، فالدلالات تنشأ كما يقول علماء الدلالة بطريقة سياقية تتحكم فيها القرائن الحالية التي تصاحب عملية الكلام، إلى جانب القرائن الخاصة بنظام اللغة التي يدركها المتلقي عبر معرفته بذلك النظام.[11]

8- السياق وحده هو الذي يوضح لنا ما إن كانت الكلمة ينبغي أن تؤخذ على أنها تعبير موضوعي صرف أو أنها قصد به أساسا، وهو يشرف على تغيير دلالة الكلمة تبعا لتغيير يمس التركيب اللغوي كالتقديم والتأخير. [12]

9- الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديدًا مؤقتا، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي بوسعها أن تدل عليها.[13]

المبحث الثاني: أنواع السياق اللّغوي وغير اللّغوي

إنّ دلالة الكلمة تتنوع وتتعدد وفقاً لتعدد وتنوع السياقات، وتصنّف هذه السياقات التي على أساسها بتنوع المعنى على النحو التالي:

أولا – السياق اللغوي (الداخلي):

هو البيئة اللغوية التي تحيط بجزئيات الكلام من مفردات، وجمل وخطاب، والذي يُدْرك من خلال التراكيب، هو حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة فيكسبها ذلك معنى خاصاً محددا بعد أن كان متصفاً بالتعدد والعموم والاحتمال على المستوى المعجمي فيحدد المعنى داخل السياق، وتكون له سمته الخاصة غير قابل للتعدد والاشتراك والتعميم[14] ، لاحظ اختلاف دلالات كلمة عصب في

السياقات اللغوية الآتية: عصبت الشيء: شددته، عصب القوم أمرٌ: ضمهم واشتد عليهم، عصب الريق فاه : أيبسه، عصب رأسه الغبار: ركبه، عصب الماء: لزمه.[15]

فالسياق اللغوي هو النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم، الذي يشمل الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة للكلمة، والنّص الذي ترد فيه، أي موقعها من الجملة، والنص وما يكسبها من توجيه دلالي.[16]

إنّ السياق اللّغوي يهتم بدراسة مستويات الكلام اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ، فيشرح مفردات الكلام ومدلولاتها، إذ يرتبط أجزاء الجملة بعضها ببعض، وتدل على مختلف العلاقات اللغوية بينها. [17]

ومن هنا تظهر قيمتها الدلالية بحسب وضعها في السياق، وتعالق بعضها ببعض، ويكون الأثر الأساس للسياق اللغوي هو تحديد هذه القيمة للكلمة ودلالتها في النظم، وكذلك ترتيب النصوص اللغوية من حيث الوضوح والخفاء، فضلاً عن الدور الأساس الذي يؤديه في اختيار بعض البدائل التي تؤثر في المتغيرات اللغوية باعتماده على قرائن سابقة أو لاحقة تغيّر دلالة عنصر من عناصرها، فيسبب تغيرا في دلالة النص؛ لأن العناصر المكونة للجملة لن تبقى من دون تغيير إذا صُرف عنصر منها عن دلالته الأولى بقرينه ما.[18]

فالسياق إطار عام تتنظم فيه عناصر النّص ووحداته اللغوية، وهذه الوحدات تتصل لتشكل الجمل المترابطة فيما بينها، وهي تتعلق بالبيئة اللغوية والتداولية، فهذه العناصر اللغوية التي يقدمها النّص للقارئ لفهمه من خلال السياق، ويضبط السياق حركات الإحالة بين عناصر النّص، فلا يفهم معنى كلمة أو جملة إلا بوصلها بالتي قبلها، أو بالتي بعدها داخل إطار السياق. [19]

وبذا فإن السياق اللغوي هو الذي يبين دلالة كل عنصر، ومهمته توضيح أبعاد الدلالة الغامضة في اللفظ وإزالة كل لبس عنها، فالكشف عن المعاني لا يكون إلا بوضع الألفاظ في سياقات مختلفة.

أنماط السياق اللغوي:

1– السياق الصوتي:

إنّ السياق الصوتي هو ما يدرس الصوت في سياقه، فالصوت في سياقه يختلف عن الصوت المجرد من حيث كمية الجهد اللازمة لإنتاجه، ومن حيث تأثره بالأصوات.[20]

فالسياق الصوتي في إطار الأصوات الأخرى على مستوى الكلمة أو الجملة وتعدّ من مظاهر السياق اللغوي ، فاختيار الأصوات الدقيقة المناسبة للأحوال الدّلالية المختلفة، لأن الأصوات تضيء

المعنى المراد، فكل تتألف من أصوات مناسبة لصورتها الذهنية، فالتناسب الصوتي بين اللفظ ومعناه وسيلة سياقية من وسائل تنبيه مشاعر الإنسان الباطنة، واستشارة المعاني النفسية.[21]

فمثلا صوت النون يرد في سياقات مختلفة وينطق على سبع صور، وذلك الصوت اللاحق له، فمثلا كلمة (منك) و (عنك) و (نهر)و (نرجس) تجد النون في كل كلمة مما سبق تختلف عن الأخرى، وذلك من الناحية الصوتية من حيث التكوين الفيزيولوجي.[22]

والهدف السياق اللغوي من السياق الصوتي الوصول إلى المعنى الحاصل من الصوت في السياق المنطوق أو المكتوب، فالصوت يؤدي وظيفة مهمة في المنطوق من حيث تميز المنطوق ، كما يشبهه بما فيه من أصوات.[23]

2- السياق الصرفي:

يدرس السياق الصرفي السوابق واللواحق، والزوائد فكل زيادة في المبني تكون مصحوبة بزيادة في المعنى، وغالبا ما نجد التصاق السياق النحوي مع السياق الصرفي ، كون النحو والصرف يتفاعلان في سياق واحد.[24]

إنّ السياق الصرفي يهتم بالمورفيمات أو الوحدات حرة كانت أو مقيدة أو محايدة لا قيمة لها وإذا كانت ضمن سياق تركيب معين ، أي يمارس وظيفتها داخل النص، مثل أحرف المضارعة وسواها[25]، مثال ذلك استعمال (أفعل) و (فعل) مثل أنزل ونزل فقد قال تعالى: ﴿وَقالوا لَولا أُنــزِلَ عَلَيهِ آياتٌ مِن رَبِّهِ﴾[26] وفي قوله تعالى: ﴿وَقالوا لَولا أُنزِلَ عَلَيهِ آياتٌ مِن رَبِّــه﴾[27]، فالظاهر أن الموقف في سورة الأنعام أشد وعنت معنّى في سورة العنكبوت، لذلك استعمل الصيغة المشددة.[28]

إنّ السياق الصرفي يهدف إلى دراسة المفردات لا بوصفها صيغا أو ألفاظا فحسب، وإنما بما ما فيها من خواص تفيد في خدمة الجملة أو العبارة، وإنّ المبنى الصرفي الواحد متعدد المعنى لكل معنى مما نُسب إليه وهو خارج السياق، أما إذا تحقق المعنى بعلاقة في سياق فإن العلاقة لا تفيد إلا معنى واحداً تحدده القرائن اللفظية والمعنوية والحالية.[29]

3- السياق النحوي:

يُعنى السياق النحوي بالبنية النحوية وعلاقات الكلمات، من حيث وظائفها ومواقعها من الترتيب، فقد تتبع الآيات التي ورد فيها لفظ الجلالة، نجد الكثرة منها قد تقدم فيها المسند إليه على المسند، مثلا التقديم لفظ الجلالة في قوله عز وجل: ﴿والله أَنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً﴾ [30] وقوله: ﴿وَاللَّــهُ خَلَقَكُم ثُمَّ يَتَوَفّاكُم﴾ [31] وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِن أَنفُسِكُم أَزواجا﴾ [32] فنجد أن لفظ الجلالة وهو المسند إليه تقدم على المسند (الفعل) مما جعل إبراهيم أنيس يعد هذا النظام

أسلوب من أساليب القصر يلجأ إليه حين يراد منه قصر الصفة تلك دون الصفات الأخرى على المسند إليه، فقد قدّم لفظ الجلالة على الفعل بيانا لنعمه الكثيرة على الناس.[33]

إنّ هذه التغيرات تؤثر في الوظائف الدلالية للكلام في السياق النحوي، وكذلك ترتيب الكلمات داخل السياق، الغرض منه فهم المعنى ولا فائدة لكلمات متوالية فهو قول عشوائي يؤدي إلى كلام فارغ من دون معنى.

لقد تغير مفهوم النحو عما كان عليه في الدراسات اللغوية القديمة ، حيث كان يدل على العلم الذي يبحث في أحوال الكلمات وإعرابا وبناء، وأصبح يدل في الدراسات الحديثة على دراسة الجمل من ناحية العلاقات السنجماتية، فالنحو هو عبارة عن شبكة من العلاقات السياقية التي تقوم كل علاقة منها عند وضوحها مقام القرينة المعنوية، وقد يعتمد وضوحها على التأني بينها وبين القرائن اللفظية في السياق.[34]

4–السياق المعجمي:

يعني تلك العلاقات البنيوية الأفقية التي تقوم في العبارة بين المفردات بوصف هذه الأخيرة وحدات معجمية دلالية، لا بوصفها وحدات نحوية أو أقسام كلامية عامة.[35]

فالسياق المعجمي يبحث عن معنى الكلمة فيعمد إلى رصد المعاني الناجمة عن السياق، وأنماطه وتطبيقاته عن الاستعمالات السابقة لها في مختلف السياقات، فهناك يدرك المعجمي أن الكلمة عندما توضع في سياقها الجديد لا يمكن أن تتصل عما علق بها من معاني الاستعمالات السابقة ، فعلى العكس قد تستأنف مسيرتها الدلالية حتى تضيف معانيها السابقة للمعنى الجديد، فالكلمة تتفاعل داخل تناسقها اللغوي ، وتكون دائما ممتدة ومتجاورة للنص إلى كل ما كتب قبله، فلا يحد حركتها زمان ولا مكان. [36]

فالعلاقات السياقية تعني عوامل توليد وإثراء وتوسع في الاستعمال اللغوي، وهي على الرغم من خصوصياتها في الدلالات تتفاعل تماما مع مدارات التطور وحركته في الاتجاهات كافةً.

إنّ معنى الكلمة في المعجم متعدد، ومحتمل لكن معناه في السياق واحد لا يتعدد لسببين:[37]

1- وجود قرائن فيه تعين على تحديد قرائن المقال.

2- ارتباط كل سياق بمقام معين يحدد عنده في ضوء القرائن الحالية.

فالكلمة صورة صوتية مفردة في ذهن المجتمع، أو صورة كتابية بين دفتي المعجم، والمتكلم هو الذي يحولّ هذه الصورة إلى حقيقة (سمعية أو بصرية) كما يحولّها من الإفراد (طابع المعجم) إلى السياق الاستعمالي (طابع الكلام). [38]

ثانيا– السياق غير اللغوي: (السياق الخارجي).

وهو كل ما يمثله العالم الخارجي عن اللغة من ظروف ثقافية واجتماعية ونفسية حسب رأي فيرث، أي هو مجموعة العناصر المكوّنة للحدث الكلامي، وتشمل هذه العناصر التكوين الثقافي للمشاركين في هذا الحدث، والظروف الاجتماعية المحيطة به، والأثر الذي يتركه في المشاركين فيه.[39] من ظروف كنوع القول وحسن اللغة أو اللهجة المستعملة، المتكلم والعلاقة الثقافية بينهما الجنس، وظروف الجو أي الايماءات (الإشارات المعنوية)، حتى مزاج الإنسان، فعادة أصل تلك اللغة، فكل هذه الظروف والأحوال تتكاثف جميعا في التأثير في الدلالة الحرفية للعبارة. [40]

ينقسم السياق غير اللغوي إلى ما يلي:

1– سياق الموقف:

يقصد به الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة.[41] مثل استعمال كلمة (يرحم) في مقام تشميت العاطس (يرحمك الله) البدء بالفعل، وفي مقام الترحم بعد الموت: (الله يرحمه) البدء بالاسم، فالأولى تعني طلب الرحمة في الدنيا، والثانية طلب الرحمة في الآخرة، وقد دل على هذا سياق الموقف إلى جانب السياق اللغوي المثمثل في التقديم والتأخير.[42]

وأطلق اللغويون على هذه الدّلالة (الدلالة المقامية) فثمة عناصر غير لغوية ذات تأثير في تحديد المعنى، وتكون جزءا من معنى الكلام، وذلك مثل شخصية المتكلم، والمخاطب والعلاقات التي تربطها، وما يحيط بالكلام من ظروف وملابسات.

إنّ من ينظر في اللغة على وجه التعقيد والوصف والتفسير ينتهي بالضرورة إلى الأخذ بالمتغيرات الخارجية التي تكشف المادة اللغوية واستعمالاتها؛ وذلك لأن المعنى القاموسي أو المعنى المعجمي ليس كل شيء في إدراك معنى الكلام.[43]

2– السياق الثقافي:

هو الذي يكشف عن المعنى الاجتماعي، وذلك المعنى الذي توحي به الكلمة أو الجملة، والمرتبط بحضارة معينة، أو مجتمع معين ، ويُدعى أيضا المعنى الثقافي، فاختلاف البيئات الثقافية في المجتمع يؤدي إلى اختلاف دلالة الكلمة من بيئة إلى أخرى، فمثلًا كلمة (الجذر) تستخدم عند اللغويين بمعنى، وعند المزارع بمعنى غير وعند علماء الرياضيات بمعنى آخر.[44]

فالسياق الثقافي هو القيم الثقافية والاجتماعية التي تحيط بالكلمة، وتأخذ ضمنه دلالة معينة، وأشار علماء اللغة إلى ضرورة وجود هذه المرجعية الثقافية عند أهل اللغة الواحدة؛ لكي يتم التواصل والإبلاغ وتخضع القيم الثقافية للطابع الخاص الذي يلوّن كل نظام لغوي بسمة ثقافية معينة، وهو ما يكون أحد العوائق الموضوعية في تعلم اللغات. [45]

3- السياق العاطفي:

هو ما يحدد درجة القوة والضعف والانفعال حسب ما يقتضيه الأمر، ووفقاً للحالة النفسية لكل شخص تتغير دلالة الكلمة، فكلمة (يكره) غير كلمة (يبغض) رغم اشتراكهما في أصل المعنى كذلك.[146]

ومن ذلك مثلا الفعل (يحبُ) والفعل (يعشق) فمع اتحادهما في أصل المعنى إلا إننا نلاحظ فرقاً معنوياً بينهما هو الذي نعبر عنه بالسياق العاطفي.[147]

والفرق المعنوي بين المفردات هو ما يعبر عنه بالسياق العاطفي، ويبين لنا أن وظيفة اللغة تتعدى الحدود الموضوعية، والمعاني التجريدية إلى التعبير عن العواطف والانفعالات والتأثير في السلوك الإنساني.[148]

ويرتبط السياق العاطفي بدرجات الانفعال فأية إشارة لغوية لا يتحدد وجودها إلا في علم النفس ودراسته، أي بدراسة الموقع الذي حلّت فيه الكلمة وردود الفعل السلوكية، ولكن المضمون أو الارتباط النفسي يختلف من متكلم إلى آخر ، أو بالأحرى من شخص إلى آخر، وكل كلمة تذكر يكون صداها لدى المتلقين تابعاً لحالته النفسية.[149]

النظرية السياقية (فيرث).

يُعدّ جون فيرث من العلماء الغربيين الذين اهتموا بالسياق، فأسس نظرية قائمة بنفسها وهي النظرية السياقية، وتُعدّ الحجر الأساس في المدرسة الفيرثية، ومعنى الكلمة عند أصحاب هذه النظرية هو استعمالها في اللغة، أو الطريقة التي تستعمل بها، أو الدور الذي تؤديه ، لهذا يصرح فيرث بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسبيق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة، فدراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلا للسياقات والمواقف التي ترد فيها، حتى ما كان منه غير لغوي.[151]

ومعنى ذلك أن الكلمة تعطي دلالات متعددة بتعدد السياقات التي تدخل فيها، أو تبعا لتوزعها اللغوي ، ومن أجل تركيزهم على السياقات اللغوية التي ترد فيها الكلمة، وأهمية البحث عن ارتباطات الكلمة بالكلمات الأخرى، ويكون الطريق إلى معنى الكلمة هو رؤية المشار إليه أو وصفه أو تعريفة. [152]

وتقوم نظريته السياقية على إعادة الاهتمام بالأحوال، والمحيط الذي لا يتضمن الأحداث الكلامية، فالقول إن الإدراك اللغوي والمعرفي يحصلان عندما تنتقل الأفكار من رأس المتكلم إلى السامع ، ليس سوى خلافه مظلة. [153]

فالكلام ليس أقوالا بل أفعالاً تحتوي الحدث الكلامي والقضايا المادية المحيطة بالنص المنطوق أو المكتوب، واللغة باستعمالاتها البدائية حلقة اتصال في نشاط جماعي ، إنها نمط من العمل وليست أداة للتأمل.

فمعنى الكلام ليس سوى حصيلة لهذه العلاقات، وإهمالها يؤدي إلى غياب المعنى، ولهذا يصر فيرث على اعتبار اللغة جزءا من المسار الاجتماعي، واستخراج الدلالات لا يكون ناجحا إلا إذا ربطت اللغة بالقضايا الاجتماعية للمجتمع.[55]

منهج نظرية السياق:

إنّ منهج نظرية السياق يعتمد على ثلاثة أركان رئيسية في دراسة اللغة بصفة عامة وفي دراسة المعنى بصفة خاصة ، وهذه الأركان هي:

أولًا– وجوب اعتماد كل تحليل لغوي على ما يسميه فيرث بالمقام مع ملاحظة كل ما يتصل بهذا المقام من عناصر وملابسات وقت الكلام الفعلي، وهذه العناصر هي:

أ– الظواهر المتصلة بالمشتركين في الكلام والاستماع مع الاهتمام بشخصياتهم، ويندرج تحت ذلك الأمور التالية :

1– الكلام الفعلي نفسه.

2– أعمال هؤلاء المشتركين في الكلام وسلوكهم.

ب– الأشياء والموضوعات المناسبة المتصلة بالكلام والموقف.

ج–أثر الكلام الفعلى في المشتركين كالاقتناع أو الألم أو الإغراء أو الضحك.

د– العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة وبالسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي كمكان الكلام وزمانه، وحالة الجو إن كان لها دخل، وكل ما يطر أثناء الكلام مما يتصل بالموقف الكلامي أيّا كانت درجة تعلّقه به.

ثانيا– وجوب تحديد بيئة الكلام المدروس وصيغته؛ لأن هذا التحديد يضمن السلامة من الخلط بين لغة وأخرى أو لهجة وأخرى، فيجب أن يحدد الدارس المستوى اللغوي الذي سوف يتعرض له بالدراسة ، أهو المستوى الفصيح أو العامي ، أوهي لغة القرآن أو لغة الحديث النبوي أو لغة الشعر؟.

ثالثا– الكلام اللغوي عند فيرث مكون من أحداث، وهذه الأحداث اللغوية، معقدة ومركبة، وعليه فيجب تحليلها على مراحل وهي فروع علم اللغة ومن وجهة نظر فيرث هي بيان المعنى اللغوي للكلام. [56]

المبحث الثالث: موقف العلماء المسلمين منها.

اهتمت الدراسات العربية بالسياق ويظهر ذلك جليا من خلال مصنفات اللغويين والبلاغيين والمفسرين والأصوليين.

1- السياق عند اللغويين.

لقد شاع عند اللغويين استعمال لفظ قرينة السياق عند ذكر دليل الحذف الجائز في الأبواب النحوية، كما ورد أيضا لفظ السياق بمعناه اللغوي في توصيف بعض الأساليب نحو قولهم: النكرة في سياق النفي نعم، كما اهتموا بتركيب الألفاظ بعضها ببعض، اهتماما كبيرا، وقد أولى سيبويه (ت :180) كلا من "السياق اللغوى" و"السياق الحال" اهتماما كبيرا لما له من أثر في مبانى التراكيب، من حيث الذكر والحذف والتقديم والتأخير، ويتضح ذلك استعانته بالسياق اللغوي بكثرة في تقديم المفعول وتأخير الفاعل فيقول في قولك: "ضرب عبد الله زيداً"، فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول، وذلك قولك: ضرب زيداً أعبد الله؛ لأنك إنما أردت به مؤخرا ما أردت به مقدماً، و لم ترد أن تشغل الفعل بأول منه وإن كان مؤخرا في اللفظ، فمن ثم كان حد اللفظ أن يكون فيه مقدما، وهو عربي جيد كثير، كأنهم أنما يقدمون الذى ببيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم. "57"

فقد اعتمد سيبويه في هذا النص على دور العلامة الإعرابية في بيانها للفاعل والمفعول حتى مع التقديم والتأخير، فقد لاحظ أن المعنى النحوي " لزيد " عبدالله " غير مختلف في الجملتين، وهذا يتضح من قوله جرى اللفظ كما جرى الأول، أي رفعت الفاعل "عبدالله" مع التأخير ونصبت المفعول "زيداً" مع التقديم، وهذه العلامة الإعرابية من عناصر السياق اللغوي الدالة على الفاعل والمفعول في مثل هذه الجمل التي خالفت الرتبة الأصلية، وإذا كانت الدلالة المعجمية للألفاظ متعددة فإن اللغويين أشاروا إلى أن ذلك التعدد لا يكون إلا خارج السياق، أما في السياق فإن الدلالة واحدة. "58"

2- السياق عند البلاغيين:

تظهر عناية البلاغيين بالسياق من عباراتهم المشهورة (لكل مقام مقال) ، حيث يختلف مقام المدح عن مقام الهجاء عن مقام الفخر، فهم يميزون بهذه العبارة السياق الاجتماعي عن السياق العام. "59"

وقد أدركوا أن معنى العبارة الواحدة يتغير بتغير المقام ففي قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ القَرْيَةَ﴾ "60" فمعنى العبارة في السياق القرآني يقتضي محذوفًا والتقدير: وأسأل أهل القرية، لكن هذه العبارة في مقام آخر لا تحتمل الحذف، وذلك إذا كانت في كلام رجل مر بقرية قد خربت وباد

أهلها، فأراد أن يقول: لصاحبه واعظاً ومذّكراً، أو لنفسه متعظاً ومعتبراً سل القرية عن أهلها، وقل لهم ما صنعوا على حد قولهم: سل الأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك؟ [61]

إذا فقد أشار البلاغيون إلى السياق من خلال فكرة المقام ، كما أشاروا إليه من خلال الأسلوب وأغراضه البلاغية ، فكثيرا ما يخرج الأسلوب عن معناه الأصلي، كما راعوا أحوال المخاطبين، فمخالطة الحاكم ليست كمخاطبة المحكوم، والاهتمام بعملية تحليل التراكيب اللغوية وتفكيكها بغرض الوصول إلى المعنى المراد.

3– السياق عند الأصوليون والفقهاء:

اهتم الأصوليون بالسياق اهتماماً كبيراً وأدركوا أثر قرائن السياق في فهم النصوص الشرعية؛ لاستنباط الأحكام الفقهية، ومن أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، واعتبروه الوسيلة الوحيدة للكشف عن المعنى، وبان اهتمامهم بالسياق ففطن أكثرهم إلى أن اللغة ظاهرة اجتماعية لابد فيها من ملاحظة السياقين اللفظي والحالي للوقوف على طبيعة النص دلاليا، وقد استعمل بعضهم مصطلح السياق في وقت مبكر. [62]

أي أن الأصوليين ساروا على نهج علماء العربية في نظرتهم للسياق الذي ظهر مبكرا عندهم مع الإمام الشافعي، وكانوا يرون أن اللغة ظاهرة اجتماعية، وكانوا يستعينون بالسياق اللفظي والحالي للوقوف على طبيعة النص دلاليا وتفسير الموقف الكلامي، والذين يرون أن العبرة من اللفظ بعمومه لا بخصوصه، أي العبرة من اللفظ ليس بما وضع له بل السياق الذي يرد فيه اللفظ ، فالسياق هو الموجه الوحيده للمتلقي؛ لأن المعاني كثيرا ما تكون غير مباشرة فهو يوجه ويبّين.

4– السياق عند المفسرين :

أدرك المفسرون أهمية السياق ، يبدأ من الشروط التي وضعوها فيمن يقوم بتفسير القرآن العظيم، وهذه الشروط تتمثل في إتقانه لمجموعة من العلوم وهي أشبه ما تكون بمراحل التحليل المذكورة في نظرية السياق. [63]

– **فعلى المستوى الصوتي:** يجب أن يكون المفسر عالما بالقراءات ، وهو العلم الذي يعرف به كيفية النطق بالقرآن الكريم، وبها يترجّح بعض الوجوه المحتملة على بعض، فالوقف والوصل مطرائق الآداء الصوتي للقرآن لها تأثير في تحديد المعنى.

– **وعلى المستوى الصرفي:** اشترطوا في المفسر أن يكون متقناً للتصريف؛ لأن به تعرف الأبنية وأوجه الاشتقاق.

– **وعلى المستوى التركيب:** اشترطوا فيه إتقان علوم النحو والمعاني والبيان والبديع.

– **وعلى مستوى المعجم:** اشترطوا فيه أن يعرف شرح مفردات الألفاظ ودلالتها بحسب الوضع.

– **وعلى مستوى سياق الحال:** اشترطوا معرفته بأسباب النزول، وهي الأحداث والوقائع الملابسة لنزول النص القرآني، وهذه الأحداث لها أهمية في فهم معاني الآيات وما تشير إليه من دلالات ومعرفة المكي والمدني والترتيب الزمني لنزول الآيات من الأمور التي تتصل بالسياق.

– **وعلى مستوى السياق اللغوي:** اشترطوا استحضار النص القرآني؛ لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً.

الخاتمة

وبناءً على ما تقدم عرضه في مباحث هذا البحث توصّلت إلى مجموعة من النتائج ، أهمها:

– السياق هو الذي يحدد معنى الكلمة المناسب، ويعتمد إلى إبعاد كل ما خلا من معاني ذهنية مرتبطة بهذه الكلمة من دون السياق.

– مازال السياق يشغل حيّزا واسعا في البحث الدلالي المعاصر، ويستحوذ فبدوره في تحديد الدلالة.

– إنّ للسياق أهمية كبيرة في تحديد الدلالة ، فهو يصرف الغموض عنها ويوجهها ويضبطها.

– تتنوع دلالة الكلمة وتتعدد وفقاً لتعدد السياقات وتنوعها على أساسها بتنوع المعنى.

– يبين السياق اللغوي أبعاد الدلالة الغامضة في اللفظ وإزالة كل لبس عنه.

– نظرية السياق لها دور كبير في مقصود دلالة المتكلم وتحديد هوية العبارة.

– يهتم السياق اللغوي بدراسة مستويات الكلام اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية فيشرح مفردات الكلام و مدلولاتها.

– ارتبط السياق بجهود كثير من علماء اللغة قديماً وحديثاً، حتى صارت نظرية متكاملة على يد العالم (فيرث).

– اهتم علماء المسلمين بالسياق وبتأثيره على المعنى، من دون إهمال للظروف المحيطة بالحدث الكلامي.

«والله ولي التوفيق».

هوامش البحث:

1– مقاييس اللغة، أحمد فارس، ص : 117.

2– علم الدلالة دراسة وتطبيق، نور الهدى لوشن، ص: 95.

3- علم الدلالة أحمد مختار، ص: 70.

4- المصدر نفسه، ص: 71.

5- دراسة في العلاقة بين النص والسياق، خلود العموش، ص: 26.

6- نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، إدرس مقبول، ص:56.

7- علم الدلالة المقارن، حازم على كمال الدين، ص : 243.

8- نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية، ص: 62.

9- الدلالة اللفظية، محمود عكاشة، ص: 53.

10- نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، ص : 55.

11- دراسة في العلاقة بين النص والسياق، خلود العموش، ص:30.

12- علم الدلالة، منقور عبد الجليل، ص:89.

13- اللغة، جورج فندريس ، ص : 231.

14- نظرية السياق دراسة أصولية، نجم الدين قادر الزنكي، ص: 82.

15- علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، د- فريد حيدر، ص: 159.

16- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د.محمود السعران، ص: 310.

17- الدلالة السياقية عند اللغويين، د. عواطف المصطفى، ص : 48.

18- النحو والدلالة، د- محمد حماسة، ص: 117.

19- منهج السياق في فهم النص، عبد الرحمان بو درع، ص: 27.

20- الدلالة السياقية عند اللغويين، عواطف كنوش، ص: 54.

21- نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، عند النعيم خليل، ص: 37.

22- الدلالة السياقية عند اللغويين، عواطف كنوش ، ص: 54.

23- المصدر السابق، الصفحة نفسها.

24- الدلالة السياقية عند اللغويين، عواطف كنوش، ص: 58.

25- المعنى خارج النص، فاطمة الشيدى، ص : 32.

26- العنكبوت : 5.

27- الأنعام : 37.

28- ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د فاضل السامرائي، ص: 55.

29- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص : 165.
30- سورة النحل: 65.
31- سورة النحل : 70.
32- سورة النحل : 72.
33- السياق وأنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني، خليل خلف ص: 43.
34- سلسلة اللسانيات، تمام حسان، ص: 159.
35- المصدر السابق، ص: 68.
36- السياق وأثره في المعنى، المهدي إبراهيم الغويل، ص: 66.
37: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص: 316.
38- المصدر السابق، ص: 317.
39- في علم الدلالة دراسة تطبيقية، محمد حسين ص 23.
40- علم اللغة مقدمة للقارئ العربية، محمود سعران، ص: 252.
41- في علم الدلالة دراسة تطبيقية، محمد حسين، ص:23.
42- علم الدلالة ، د. أحمد مختار، ص: 71.
43- الدلالة المعجمية والسياقية في كتب معاني القرآن، علاء عبد الأمير شهيد، ص: 259.
44- علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، د- فريد حيدر، ص : 162.
45- الدّلالة المعجمية والسياقية في كتب معاني القرآن، علاء عبد الأمير، ص: 206
46- علم الدلالة، د- أحمد مختار، ص: 71.
47- علم الدلالة النظرية والتطبيق، رانيا فوزي، ص: 115.
48- الدلالة السياقية عند اللغويين، د.عواطف كنوش، ص:81.
49- دور الكلمة في اللغة، أولمان ، ص: 60.
50 – علم الدلالة، أحمد مختار، ص: 68
51- علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، د- فريد عوض حيدر، ص: 158.
52- علم الدلالة د- أحمد مختار، ص: 69.
53- مدارس اللسانيات، جفرى سامسون، ص: 238.
54- المصدر السابق، الصفحة نفسها.

55- محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ، شفيقة العلوي، ص: 120.

56- علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، د فريد حيدر، ص: 164.

57- الكتاب، سيبوية، 1 / 125.

58- المصدر السابق، 1/ 126.

59- علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، د- فريد حيدر، ص: 170.

60- سورة يوسف: 82.

61- علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، د- فريد حيدر، ص: 171.

62- علم الدلالة التطبيقي، هادى نهر، ص: 275.

63- علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، د- فريد حيدر، ص: 168.

قائمة المصادر والمراجع

– القرآن الكريم برواية حفص.

-بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د فاضل السامرائي، الطبعة الأولى، بغداد، 2000.

– دراسة في العلاقة بين النص والسياق، خلود العموش، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، 2008.

– الدلالة اللفظية، محمود عكاشة، مكتبة الأنجلو المصرية.

-الدلالة السياقية عند اللغويين، د- عواطف المصطفى كنوش، دار السياق للنشر، لندن، الطبعة الأولى، 2007.

– الدلالة المعجمية والسياقية في كتب معاني القرآني، علاء عبد الأمير شهيد، دار رضوان للنشر، عمان، الاردن، الطبعة الأولى، 2012 .

– دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان ، ترجمه – كمال بشر، مكتبة الشاب، 1988.

– سلسلة اللسانيات تمام حسان، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، 1999.

– السياق وأثره في المعنى، المهدي إبراهيم الغويل، أكاديمية الفكر، دار الكتب الوطنية، بنغازي ، 2011.

– السياق وأنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني، خليل خلف بشير العامري، جامعة البصرة مجلة القادسية في الآداب والعلوم، مجلد-9، عدد-2، 2010.

– علم الدلالة، د. أحمد مختار، عمر، عالم الكتب، القاهرة الطبعة الأولى 1985.

– علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية ، منقور عبد الجليل، اتحاد الكتاب العرب.

– علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، د. فريد عوض حيدر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1999.

– علم الدلالة دراسة وتطبيق، نور الهدى لوشن، المكتب الجامعي الحديث، الأسكندرية، 2002.

– علم الدلالة المقارن، حازم على كمال الدين، مكتبة الآداب للنشر.

– علم الدلالة النظرية والتطبيق، رانيا فوزي عيسى دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، الطبعة الأولى، 2008.

– علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي هادي نهر، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، 2007.

– علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د– محمود السعران، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000.

– في علم الدلالة دراسة تطبيقية، محمد حسين خليل عبد الكريم، دار المعرفة الجامعية، القاهرة 1997.

– الكتاب، لسبيويه، تحقيق – عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجى، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1977.

– اللغة، جورج فندريس، ترجمة – عبد الحميد الروخلي ، مكتبة الأنجلو المصرية، 1950.

– اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان ، دار الثقافة للنشر، 1994.

– محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، شفيقة العلوي، أبحاث للنشر، الطبعة الأولى، 2004.

– مدارس اللسانيات، التسابق والتطور، جفري سامسون ترجمه – محمد زياد كبة، جامعة الملك سعود ، 1997.

– المعنى خارج النص، فاطمة الشيدي، دار نينوي، دمشق، 2011.

– مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق – عبد السلام هارون، دار الفكر، القاهرة، 2000.

– منهج السياق في فهم النص، عبد الرحمان بودرع، د – ط.

– النحو والدلالة، د–محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق بيروت، الطبعة الأولى، 2000.

– نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، عبد النعيم خليل، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2007.

– نظرية السياق دراسة أصولية، نجم الدين قادر كريم الزنكي، دار الكتب العلمية، بـــيروت، د–ط، 2006.

– نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، إدرس مقبول ، عـــالم الحديثـــة، الطبعـــة الأولى، 2011.

– نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، عبد النعيم خليل، دار الوفاء للطباعة والنشـــر، الإســـكندرية، 2007.